توافرت الأدلّة على أن عاشوراء الحسين (عليه السلام) كانت وما تزال عنوانًا للعطاء في مجالات معرفية كثيرة ومتنوّعة، ولا يخفى أن هذه النهضة التي كشفت عن حقائق تجلّت للعالم بصور واقعيّة؛ لتصبح منطلقًا تدور في فلكها تساؤلات مختلفة عن حجم العلاقة بين ثنائيات متعدّدة وأهمها ثنائية القرآن وثورة الحسين (عليه السلام)، وقد نلمس مشتركات واضحة المعالم بينهما لنصل إلى درجة قطعيّة بأن مسيرة القرآن ودعوته ومبادئه تجسّدت بشكل تطبيقي في عرصة عاشوراء الحسين (عليه السلام).

إنّ واحدة من أهمّ المشتركات في ثنائية القرآن وثورة الحسين (عليه السلام) الخالدة التركيز على الهويّة الإسلامية بأبعادها المختلفة، فقد جاء في القرآن الكريم أن الدين عند الله هو الإسلام ولا يقبل غيره مع وجوده، قال تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ} [آل عمران: ١٩]، {وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ} [آل عمران: ٨٥]، وهذه الرؤية تجلّت في يوم عاشوراء فقد ركّز الحسين (عليه السلام) على معالم الإسلام وآدابه وأخلاقه بتلك الكلمات التي رسّخت ثقافة الإسلام، إذ قال (عليه السلام): (على الإسلام السلام، إذ بليت براع مثل يزيد)، إذ يفهم من كلامه (عليه السلام) أن الإسلام عرضة للضياع إذا تولّاه شخص كيزيد، وهذا يستوجب حرمة مبايعته والعمل تحت سلطته حفاظًا على الإسلام كدين وعلى المجتمع ككيان.

ومن المسائل المشتركة بينهما كثانية أيضًا بحيث مثّلت مرجعية للمسلمين هو التركيز على الأسوة الحسنة والقدوة في قيادة الأمة؛ وذلك لأن قيادة الأمّة مسؤولية عظيمة وتتوقّف عليها سعادة الدارين؛ لذلك ركّز القرآن على ذلك، إذ قال تعالى: {لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَة}. فوجود الأسوة الحسنة ضمانٌ للمسيرة الصحيحة والمستقيمة، وأمانٌ من التيه والضلالة، وهذا الأمر لا يختلف عليه أهل البصيرة والعقل، وقد أثبتت التجربة أن الفشل كل الفشل في ترك القدوة والأسوة الحسنة، ولذلك فقد تمزّقت الأمة وضاعت بعد تفرُّقها عن أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد رحيل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) وهذا البعد المنطقي كان من أبرز منطلقات ثورة الحسين (عليه السلام)، إذ عمد (عليه السلام) بثورته إلى بيان علّة عدم قبول يزيد وكونه لا يليق بأن يكون قدوة الصالحين فقال عليه السلام: (والله لو لم يكن ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد)،

وهذا النفي الحسيني الكبير لمن يكن إلّا عن قناعة بأن يزيد باطل وبعيد عن الحق وأهله ، وهو لا يمكن أن يكون قدوة يلتفُّ الناس حوله، فقال (عليه السلام): (ألا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه...), وهذا بحدّ ذاته تحدٍّ كبير لإرادة السماء وتعطيل للمنهج الإلهي، لذلك وجب على الأولياء الثورة والنهضة.

إن المشتركات بين القرآن وثورة الحسين كثيرة ولا تقف عند حدٍّ معين ويكفي في ذلك أن نعلم أن القبول في ساحة القدس الإلهي يستلزم التقوى، فقد قال تعالى: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} [المائدة: ٢٧] وليس المهم كثرة الأعمال فقد عبد إبليس الله ستة آلاف عام إلّا أنه فشل في الاختبار فكان كل ما فعل هباءً منثورًا وقد ذكر القرآن في ذلك محذّرًا، إذ قال تعالى: {وَ قَدِمْنا إِلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُورًا} [الفرقان: ٢٣]، فينبغي أن نبحث عن نوع العمل أوّلًا؛ لأن عليه يتوقّف القبول، وهذا الذي ركّزت عليه ثورة الحسين إذ قال (عليه السلام): (من كان باذلًا فينا مهجته، وموطنًا على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا)، فالحسين (عليه السلام) حاول أن يبيِّن للناس أن من شروط القبول اتّباعه، والمتخلّف عنه من دون عذرٍ مأثوم، فقال (عليه السلام): (رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا أجر الصابرين)، وعلى هذا فإنه ينبغي على المؤمن أن يدرك أن مفتاح السعادة والقبول هو الرضا لأهل البيت (عليهم السلام) وعدم التخلّف عن ركبهم.